دور الطبيب في الحرب والتحرير: مقابلة مع الجراح الفلسطيني غسان أبو ستة

كتبه ماري طرفة | 7 مارس ,2024

ترجمة وتحرير: نون بوست

الدكتور غسان أبو ستة، جراح التجميل والترميم المقيم في لندن، أمضى معظم حياته المهنية في غرف العمليات في مناطق النزاع. وفي شبابه تردد في ممارسة مهنة الطب. لقد كان والده طبيبًا، وكان يعتقد، مثل العديد من أبناء الأطباء، أنه يريد شيئًا آخر، ربما مهنة في العلوم الاجتماعية. وكشف الغزو الإسرائيلي للبنان سنة 1982 لأبي ستة لأول مرة عن إمكانيات الطب وكيف يمكن أن تمتد هذه الإمكانيات إلى ما هو أبعد من التفاعل الفردي بين الطبيب والمريض. وقرر أن يصبح جراحًا، وقاده عمله في السنوات الفاصلة إلى الموصل واليمن ودمشق ولبنان؛ حيث أسس برنامج طب النزاعات الأول من نوعه في الجامعة الأمريكية في بيروت. ومرارًا وتكرارًا، قاده عمله، بقدر ما قاده، إلى العودة إلى غزة.

يبدأ فيلم وثائقي من سنة 2003 بعنوان "عن غزة" بلقطات لأبي ستة وهو يعبر تقاطعًا مزدحمًا، وهو يرتدي بدلة ويحمل في يده حقيبة جلدية. وبعد ثوانٍ، يتحول الإطار إلى أكوام من الركام وسط المباني المدمرّة. ويشرح أبو ستة عبر التعليق الصوتي أنه حصل على إجازة لمدة ستة أشهر للسفر إلى

غزة لأنه "كفلسطيني في الشتات، شعرت أن هذا هو المكان الذي أنتمي إليه. وعلى الرغم من أنني لم أعش في غزة مطلقًا، إلا أنه المكان الذي كنت أعتبره دائمًا موطنًا لي. إنه المكان الذي يلتقي فيه التياران الرئيسيان في حياتي: مهنتي وإحساسي بالهوية".

ولد أبو ستة في الكويت لعائلة فلسطينية، فرت مع مئات الآلاف من الأشخاص الآخرين الذين يعيشون في جنوب فلسطين، قسرًا من منازلهم سنة 1948 ولجأوا إلى غزة. ومن خلال مشاركتي بتاريخ عائلته في المقابلات، لاحظت أكثر من مرة أن أبو ستة يصحح تعريف نفسه؛ فيقول: "عائلتي كانت لاجئة" ثم "أصبحت لاجئة"، وكأنه يصر على أهمية الدقة اللغوية، مدركًا للعدوان الذي نقوم بتطبيعه في الكلام اليومي. وقد استولى المستوطنون على قرية أجداده، معين أبو ستة، التي تقع على بعد أربعة كيلومترات قصيرة مما يسميه الإسرائيليون "السياج الحدودي"، وتطورت إلى كيبوتسات، من بينها نيريم وماجن. عم أبو ستة، الدكتور سلمان أبو ستة، الأكاديمي ومؤلف كتاب "أطلس فلسطين"، كتب مؤخرًا في مقال لموندويس: "عندما تسمع أسماء هذه الكيبوتسات، عليك أن تتذكر على أرضها من تم بناؤها. يجب أن تتذكروا أن أصحاب هذه الأرض لم يتخلوا قط عن حقهم في العودة إلى ديارهم".

وكان د. غسان أبو ستة من بين المجموعة الأخيرة من الأشخاص الذين دخلوا غزة عبر مصر صباح يوم الإثنين 9 تشرين الأول/ أكتوبر، مباشرة قبل إغلاق معبر رفح بشكل كامل وعزل القطاع عن العالم. وبدأ العمل في مستشفى الشفاء، المركز الطبي في غزة، بمجرد أن رتب المرور الآمن إلى المجمع الطبي. وفي غضون الأيام القليلة الأولى، ونتيجة لحملة القصف القاسية التي لا هوادة فيها ضد البنية التحتية المدنية في غزة والسكان، تجاوز عدد الجرحى إجمالي عدد الأسرة في القطاع بأكمله (2500 سرير).

وأجرى أبو ستة مقابلات تلو الأخرى، وظهر على الهواء مباشرة في محاولة لإقناع العالم، الذي يبدو غير متأثر بالموت الفلسطيني، بمخاطر ما شهده. وقال لكريستيان أمانبور من سي إن إن في 12 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، إن المعدات الطبية الأساسية لم تكن متوفرة، بعد أيام قليلة من الهجوم. وحذر المستمعين من العواقب الكارثية بعيدة المدى لهذه الحرب ضد شعب غزة، "كارثة من صنع الإنسان"، كما قال، "تشبه العاصفة الكاملة"؛ حيث كان نظام الرعاية الصحية في غزة "راكعًا بالفعل". وذلك بفضل خمس عشرة سنة من الحصار الإسرائيلي.

وكان أبو ستة يعمل في المستشفى الأهلي أثناء مجزرة 17 تشرين الأول/ أكتوبر 2023، وكان من بين الأطباء الذين أدلوا بشهادتهم، محاطين ببحر من الجثث المغطاة بالبطانيات، في ساحة المستشفى في أعقاب الهجوم مباشرة. وانتقد لاحقًا تقريرًا أصدرته هيومن رايتس ووتش حول ما أسموه "الانفجار"، لأنه فشل في الاتصال بأي شخص على الأرض في غزة – ولا حتى مدير المستشفى الذي تلقى أوامر الإخلاء والتهديدات بالقنابل من القوات الإسرائيلية. – قبل نشر النتائج الأولية التي توصلوا إليها تحت عنوان فرعي لا يصدق، "تشير الأدلة إلى إطلاق صواريخ فاشل ولكن هناك حاجة إلى إجراء تحقيق كامل".

ومنذ مغادرته غزة في تشرين الثاني/ نوفمبر، كرّس أبو ستة أيامه لمحاربة "آلة القتل التي تتنكر في هيئة

دولة" والتي تهدف إلى إطفاء الحياة في غزة. وقد حضر مؤتمرات، وقدم شهادات شهود عيان، وأجرى المزيد من المقابلات للدعوة إلى وقف إطلاق النار قدر استطاعته. ومع مراعاة الأنظمة، دعا المجتمع الدولي إلى البدء في التفكير في اليوم التالي، لبناء الزخم والقدرة التي سيتطلبها منا حتى نكون على استعداد لإعادة البناء بمجرد توقف القنابل. وفي الأسابيع الأخيرة؛ أطلق صندوق غسان أبو ستة للأطفال، وهو برنامج ملتزم بإحضار الأطفال المصابين من غزة إلى لبنان لتلقي رعاية طبية ونفسية اجتماعية شاملة وطويلة الأمد.

تحدثتُ أنا والدكتور أبو ستة عبر برنامج زووم صباح يوم 20 شباط/ فبراير بتوقيت لندن، ولقد تحدثنا عن دور الطب في تحقيق الحرية وتواطؤ وسائل الإعلام الغربية في الإبادة الجماعية المستمرة في غزة. وناقشنا الصهيونية وما الذي يمكن فعله بالأيديولوجية الاستعمارية الاستيطانية التي ألقت بنفسها على شفا الإبادة الجماعية (ولا يبدو أنها تمانع ذلك)، والسياسة الميتة، والالتزام، عندما نواجه منطق الإقصاء البارد والوحشي، لنبقى ثابتين في التزامنا بالحياة.

تم تعديل محادثتنا من أجل الالتزام بالطول والوضوح.

ماري طرفة: أثناء وجودك في غزة، قمت بالتغريد بهذه الكلمات من جيمس بالدوين:

"لأنه لا شيء ثابت، إلى الأبد وإلى الأبد، ليس ثابتًا؛ الأرض تتغير دائمًا، والضوء يتغير دائمًا، والبحر لا يتوقف عن طحن الصخور. والأجيال لا تتوقف عن الولادة، ونحن مسؤولون أمامها لأننا الشهود الوحيدون لها. ويرتفع البحر، وينقطع الضوء، ويتشبث العشاق ببعضهم البعض، ويتشبث الأطفال بنا. وفي اللحظة التي نتوقف فيها عن التمسك ببعضنا البعض، يبتلعنا البحر وينطفئ النور".

أتذكر أنني قرأت تغريدتك، وأتساءل عما إذا كنت تتذكر التغريدة وأين كان عقلك في ذلك الوقت.

د. غسان أبو ستة: أتذكر بوضوح شديد أنني فكرت في هذا الاقتباس لأنني أحب جيمس بالدوين جدًا. وأعتقد أنه، أكثر من أي كاتب آخر، يجسد غضب وقسوة الثوري، وحنان ولطف المفكر الإنساني. وكنت أسير في مستشفى الشفاء، أعلى درج وحدة الحروق، وهي في مبنى منفصل ضمن مجمع الشفاء، وأشاهد الأسر التي حولت الشفاء إلى مخيم للنازحين، بالنظر إلى الطريقة التي يعتنون بها ببعضهم البعض وطريقة اعتنائهم بأطفالهم، وطريقة تفاعلهم. والطريقة التي قرر بها الناس في وقت مبكر مقاومة عالم الموت الذي خلقه الإسرائيليون، من خلال أعمال الحب والحنان المستمرة هذه.

وأنا أتساءل عندما غردت بذلك، ما هو "النور"؟

النور هو أعمال الحب التي يظهرها الناس تجاه بعضهم البعض، وتجاه الغرباء تمامًا، والطريقة التي يتم بها رعاية الأطفال الذين فقدوا أسرهم وجرحوا من قبل عائلات الأطفال الجرحى الآخرين، الطريقة – فقط، إن الحب كشكل من أشكال المقاومة لعالم الموت.

وبهذا المعنى، لم ينطفئ النور. ويحاول الكثير من الناس الموازنة بين اليأس الهائل الذي نشهده من خلال شاشات هواتفنا، وحقيقة أن الناس يصرون على ذلك. وبهذه الطريقة، يجسد هذا الاقتباس كليهما.

قطعًا؛ لقد كانت هناك قصة عن هذين الزوجين اللذين قررا أنهما لا يستطيعان الانتظار أكثر من ذلك، وقررا إقامة حفل زفافهما في رفح في خيمة في ذلك اليوم كنوع من المقاومة. وأنت ترى ذلك. وكنت ترى ذلك طوال الوقت. وما زلت ترى ذلك طوال الوقت. ما يكسر قلبك هو كيف أن العالم يراقب إطفاء هذا الضوء، حتى نتمكن بعد ذلك من عصر أيدينا وهز رؤوسنا ونقول، أليس من الفظيع كيف تم إطفاء هذه الأشياء تمامًا؟

لقد صدمت من قدرة الناس على التحدث عن غزة بصيغة الماضي. لماذا نتحدث عن هؤلاء الناس وكأنهم ليسوا على قيد الحياة الآن؟

كما لو أن هذا الأمر لا يزال غير قابل أن يصبح عكس ذلك. فلا يمكننا إعادة الموتى، ولكن يمكننا أن نمنع ما يتراوح بين 150 إلى 200 شخص يُقتلون كل يوم من الموت. ولا يمكننا إعادة الموتى، لكن يمكننا التأكد من أن الناس لا يموتون جوعًا في الشمال. أعني، أنها لا تزال... كما ترى، مشكلة الليبرالية، مع الليبرالية الأوروبية الأمريكية، والليبرالية الغربية، هي الطريقة التي تغسل بها خطاياها التاريخية.

وينتظر الفكر الليبرالي الأبيض في الغرب الآن أن تموت غزة، حتى تتمكن بعد ذلك من الانخراط في غسل خطاياها، من خلال إضفاء الطابع التاريخي على المذبحة. إن استثمارها في النظام – في النظام العالمي الذي يحتاج إلى أن يموت الناس في غزة ويحتاج إلى بيع الأسلحة للإسرائيليين لقتلهم بها – يعني أنها غير قادرة على إيقاف ذلك بشكل وقائي، ولكن في الوقت نفسه، وبسبب الطريقة التي استبدلت بها التفوق العنصري في العصر الفيكتوري والنصف الأول من القرن العشرين، بشعور بالتفوق الأخلاقي أو الثقافي؛ فإنها تحتاج إلى التأريخ ثم البكاء ثم التعهد بعدم القيام بذلك مرة أخرى.

نعم. يصبح الناس حزينين عندما يتوقفون عن التهديد.

قطعًا؛ عندما لا يتوجب عليك فعل أي شيء.

يبدو أن حجم ما يحدث في غزة، وتحديدًا للبنية التحتية الطبية في غزة، غير مسبوق. وفي الوقت نفسه، لدى "إسرائيل" تاريخ طويل – ليس هكذا بالضبط – في استهداف الأطباء، واستهداف المستشفيات. وهكذا، في بعض النواحي، ما نراه جديد تمامًا، وفي بعض النواحي، ليس جديدًا على الإطلاق. فما هو التمزق بالنسبة لك، وما هو الأكثر اتساقًا مع الأنماط الموجودة مسبقًا؟

إذًا أنت على حق. ففي الرابع من حزيران/ يونيو سنة 1982، بدأ الإسرائيليون غزو لبنان باستهداف كل مستشفى تابع لجمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في لبنان بالغارات الجوية. وكان هذا دائمًا أحد

مكونات هذا النوع من السياسة الميتة للحروب الإسرائيلية على الفلسطينيين، واستهداف النظام الصحي.

دكتور غسان أبو ستة

ما حدث هو الآتي: منطق الإقصاء الذي تحدث عنه باتريك وولف، وهو المنطق الذي يربط العلاقة بين المواطن الأصلي والمستوطن، إن منطق الإقصاء انتقل من الطرد والترحيل والفصل، باستخدام أدوات الإبادة الجماعية مثل المجازر والقتل على نطاق واسع، إلى إبادة جماعية كاملة كشكل من أشكال القضاء. وبالتالي، سنرى الكثير من الأدوات التي استخدمها الإسرائيليون في الماضي، تتقارب الآن لتشكل إستراتيجية كاملة. أصبحت أدوات استهداف القطاع الصحي ركيزة أساسية للإستراتيجية العسكرية لهذه الحرب لأن الهدف الآن هو هدف الإبادة الجماعية؛ فبدلاً من استخدام أدوات الإبادة الجماعية لتعزيز فكرة الإبادة بالإضافة إلى أدوات أخرى، مثل الفصل والطرد الهادئ، لقد انتقل المجتمع الإسرائيلي الآن إلى الإبادة الجماعية كشكل من أشكال تصفية المواطن الأصلي.

لذا، فيما يتعلق بالندم الصهيوني على "أننا لم نتخلص منهم جميعًا"؛ فهذا هو الوقت المناسب.

منذ البداية كنت أقول أن هذه هي حرب بيني موريس. كما تعلمون، تذكروا أن بيني موريس كتب كتابه الأول، وبعد بضعة عقود، خرج في صحيفة هآرتس وقال إن الخطأ الأكبر الذي ارتكبته الحركة الصهيونية لم يكن طرد الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة. وإن ما لم تفعل ذلك فإن المشروع الصهيوني سيفشل وسيهزم.

وتشعر بذلك الآن مع مقاومة الإسرائيليين لوقف الحرب. فهناك ملصق منتشر في كل مكان في "إسرائيل" يقول: "اقضوا عليهم".

عندما كنتَ في غزة، أتخيل أن حجم الصدمة العميقة التي كنت تتعرض لها وتحاول التعامل معها كان يتطلب مستوى معينًا من الانفصال العاطفي، فقط حتى تتمكن من الاستمرار. وفي الوقت نفسه، كشفت الأشياء التي كنت تشاركها عما كنت تراه، والمستوى الذي كنت قادرًا على إدراكه، عن شخص منفتح على الضعف، وكان يولي اهتمامًا وثيقًا. كيف تمكنت من إدارة ذلك؟

لذلك ليس الدماء والأجساد هي التي تؤثر عليك. إنها قصص الناس؛ والحياة التي تحطمت، ولمحات من الحياة قبل الإصابة هي التي تطغى عليك تمامًا. لقد اعتدتُ على التعامل مع الجانب السريري منه بطريقة منفصلة، لأنه – في عقلك – تم تدريبك على خوض هذه العملية، العملية العقلية: هذه إصابة في أحد الأطراف، وهناك عظم مكشوف، وهذا هو ما يجب أن أفعله، وأحتاج إلى إخراج الأنسجة الميتة، وأحتاج لتنظيف هذا الجرح. وأحتاج إلى التخطيط لهذا الإجراء الترميمي،

لكن هذا ما يحدث قبل هذه الحالات وبعدها، عندما تضربك لمحات من تلك الحياة التي كانت، قبل هذه اللحظة التي تحطم فيها ذلك الجسد، وتحطمت تلك الحياة. أعني، هذا ما لا يمكنك منع نفسك من أن تكون منهكًا تمامًا في البداية، ثم يغمرك شعور كبير بالحزن.

كيف يمكنك بعد ذلك الاستمرار؟ أعني أنه ليس لديك خيار –

ليس لديك خيار لأنك تحاول إبقاء نفسك على قيد، فهناك تسونامي من الإصابات التي حدثت. وأنت تعلم أنه ما لم تنجز 10 أو 12 حالة في ذلك اليوم، فلن يحصل هؤلاء المرضى أبدًا على فرصة العودة إلى غرفة العمليات لأنه في ذلك اليوم، كان لديك 400 أو 500 جريح يدخلون المستشفى.

جزء مما نشهده، وشهدناه تاريخيًا أيضًا، هو أن الأطباء يلعبون دورًا مهمًا في حركات التحرر الشعبية. ولدينا أمثلة تاريخية كثيرة. لماذا تعتقد ذلك؟

وخاصة بالنسبة للفلسطينيين، أكثر من حزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وأكثر من أمريكا اللاتينية. لقد لعبت الصحة دائمًا دورًا أكثر مركزية في حركة التحرير الفلسطينية وأفكار تقرير المصير الفلسطيني مقارنة بأماكن أخرى. ويمكنك أن ترى ذلك منذ الخمسينيات، مع ظهور العيادات المجانية للأشخاص الذين تخرجوا من جامعات مثل الجامعة الأمريكية في بيروت وجامعة القاهرة. أو مركزية جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني ومراكزها الصحية في تجربة لبنان مع منظمة التحرير الفلسطينية. وبعد ذلك، خلال الانتفاضة الأولى، حيث كانت لجان الإغاثة الطبية واتحاد لجان العمل الصحي محورية في فكرة التعبئة.

أعني، لقد عدتُ للتو من الدوحة، وكان في ذلك الاجتماع عبد العزيز اللبادي، الذي كان أحد الطبيبين الشابين في تل الزعتر أثناء الحصار، ومصطفى البرغوثي، الذي كان مع مجموعة من الأطباء الشباب الآخرين، شكلوا لجان الإغاثة الطبية خلال الانتفاضة الأولى. ويمكنك أن ترى أن المركزية أمر بالغ الأهمية. وجزء من مقاومة النظام الصحي وهؤلاء الأطباء اليوم، يجد جذوره في هذا التيار داخل أيديولوجية التحرير الفلسطينية.

كيف يحدث ذلك؟ لأن تدريبي الطبي ليس هكذا. وأتصور أن الأمر ليس كذلك في المملكة المتحدة.

لا يتعلق الأمر بالطب، بل يتعلق بما يسمح لك الطب بفعله، تلك القدرة المباشرة على الوصول إلى حياة الناس والوصول إلى نضالهم والرؤية عن قرب. إن الطب يسمح لك بالوقوف على وجه النار، والسياسة تسمح لك برؤية ما تنظر إليه. وهذا هو ما يشكل هذا النوع من النشاط الطبي، إذا كنت تريد أن تسميه كذلك، أو أيديولوجية التحرير الطبي.

نعم، لقد تعلمنا أن نبقي السياسة خارج الطب بطريقة قد تكون مثيرة للضحك في أي مجال آخر، مثل توقع عدم الاستثمار في الأشخاص الذين تعمل معهم. ويبدو أنه لا يوجد نفس هذا التعليق بطريقة أو بأخرى في فلسطين.

لقد رأيت خدمة الصحة الوطنية قبل هذه الخصخصة الزاحفة، وأعتقد أن هذه الفكرة، هذه الفكرة المضحكة حول السياسة والصحة، هي وسيلة لضمان تحويل الصحة إلى سلعة، وهو لعنة ومفهوم غريب تعتمد عليه خصخصة الطب؛ فهو أمر لا يمكن تحديه. فلا يمكنك إدخال السياسة في الطب، لكن الطب يدور حول السياسة. سواء كانت عواقب السياسة من حيث صحة الناس، أو عواقب السياسة من حيث ما يمكنك تقديمه ولن؛ فهي عنصر حاسم في الطب.

فما هو برأيك دور الطبيب في النضال التحرري في فلسطين؟

أعتقد توفير الرعاية الصحية، خاصة في أوقات الأزمات، سواء كان ذلك أثناء حصار ومجزرة تل الزعتر، أو حصار بيروت سنة 82، أو الانتفاضة الأولى، أو الانتفاضة الثانية، أو هذه الحرب. ويجب أن تكون هناك من أجل شعبك وأن تقدم لشعبك. وما تعلمناه من الإسرائيليين ومن الأطباء الفلسطينيين في هذه الحرب – وأعتقد أن هذا عنصر حاسم يجب على بقية العالم أن يتعلم منه – هو مركزية هدم النظام الصحي كشرط مسبق للتطهير العرقي، فلا يمكنك تطهير الناس من منطقة ما أخلاقيًا دون تدمير النظام الصحي.

لقد أصر الجيش الإسرائيلي على تفكيك ثم تدمير كل جانب من جوانب النظام الصحي، وليس فقط التدمير المادي للمستشفيات، ولكن قتل 340 طبيبًا وممرضًا ومسعفًا، وتدمير كليات الطب، ومنع الوصول إلى الأدوية والوقود. وكل هذه الأشياء، إنهم يدمرون النظام الصحي حجرًا بعد حجر، وهو مؤشر على أنه في العصر الحديث، لا يمكنك تطهير المناطق عرقيًا دون تدمير النظام الصحي، لأن النظام الصحي يربط الناس بمجتمعاتهم. ومع ذلك؛ رفض العاملون في مجال الصحة والمستشفيات الفلسطينية تهديدات الإخلاء التي أطلقها الجيش الإسرائيلي منذ بداية الحرب.

نعم، الطب حاجز ضد الموت، والأطباء يقدمون أنفسهم على هذا النحو، هذا على المستوى الكلي، ولكن هناك شيء لاحظته في المجلات الطبية الأمريكية الكبرى على المستوى الجزئي -وكان هذا على مدى العقود الماضية، وليس الآن فقط-، وهو تقديم الطبيب الإسرائيلي على أنه مستعد لتقديم الرعاية الطبية لجميع القادمين، سواء كانوا فلسطينيين أم لا، مسلحين أم لا، هذا الخير الذي يميز الطبيب، والاستعداد للعلاج الإنساني، مقابل الطبيب الفلسطيني الذي ليس فاعل خير، ولن يعالج إسرائيليًا، وشخص بغيض، وحاقد، أو أي شيء آخر، لكنه ليس طبيبًا

إنهم ناشطون يرتدون معطفًا أبيض، ممثل سياسي يرتدي معطفاً أبيض، وأحد الأشياء المثيرة للاهتمام حول هذه الحرب هو كيف تحول الإعلام الغربي من إسكات الأصوات الفلسطينية إلى الاضطرار إلى فرض رقابة على الأصوات الإسرائيلية لحماية الصهيونية من تصريحات الإسرائيليين، وحقيقة أنه في بداية الحرب، وقّع 400 طبيب إسرائيلي على عريضة تطالب الجيش الإسرائيلي باستهداف المستشفيات، ولم يتم التعليق عليها أو الإبلاغ عنها في الصحافة الغربية، وحقيقة أنه على مدى أسابيع وأسابيع حتى صدور حكم وإفادة محكمة العدل الدولية، لم يتم نشر الكثير من تصريحات السياسيين الإسرائيليين، وبيانات الإبادة الجماعية، والتصريحات التي تتحدث عن نية التطهير العرقي في غزة، لذا فإن وسائل الإعلام الغربية لا تعمل على إسكات الأصوات الفلسطينية

فحسب، بل تقوم أيضًا بإسكات الأصوات الإسرائيلية المسعورة، بهدف حماية صورة الصهيونية منهم، لأن هؤلاء الأشخاص ثملون الآن بعد 75 عامًا من الإفلات من العقاب، ولذلك يقولون فقط أشياء لا يريدهم المتآمرون معهم في الغرب أن يقولوها.

أجد صعوبة في وصفه بأنه "ذهان" تمامًا، لأنه يجعلك في بعض النواحي تحرم المثل من فاعليته.

بالطبع، إنه ذهان الألمان في الثلاثينيات والأربعينيات، إنه ذهان التفكير الحقيقي، ذهان البوير البيض في جنوب إفريقيا في الثمانينيات، يحدث ذلك عندما تعتقد حقًا أنه لا يوجد شيء خاطئ فيما تقوله لأنه لا أحد يفرض عليك ضريبة عليه، إنه التطبيع مع ما لا يوصف، وهكذا تبدأ في التلفظ بما لا يوصف، وما لا يدركونه هو أن الليبرالية الغربية تعتمد على النفاق، وعلى هذا التناقض التام، وأن ما تقوله وما تفعله لا ينبغي أن يكون هو نفسه، فأنت تريد ذلك، لكن عليك أن تقول شيئًا مختلفًا تمامًا.

ومع ذلك؛ فإن الجزء الصعب بالنسبة لي هو عندما – لنفترض أنك تقوم بتقييم قدرة المريض، على سبيل المثال، عندما تحتاج إلى معرفة ما إذا كان لديه بصيرة، لكن هؤلاء الناس، لا يستطيعون سماع أنفسهم.

ليس لديهم البصيرة. أعني هوسهم بفيديوهات التيك توك حول تفجير الناس أو سرقة ممتلكات الناس أو تفجير بيوت الناس، هل كانت صحيفة هآرتس هي التي نشرت قصة كاملة عن مهارات الطبخ التي يتمتع بها الجنود الإسرائيليون داخل المطابخ الفلسطينية؟ أعني، حرفيًا، أن هذا المجتمع يعيش الآن في فقاعة إبادة جماعية، لقد جردوا الفلسطينيين من إنسانيتهم إلى درجة أن الفلسطينيين، بالنسبة لهم الآن، ليسوا أقل من البشر، لقد أصبحوا غير مرئيين، ولذا فهو ليس مطبخًا لشخص ما، لا، إنه ابنك يمارس جميع مهارات الطبخ الرائعة التي علمته إياها أثناء وجوده في الميدان، إنه ليس في منزل شخص ما، فعلى الأرجح أنه قتل هؤلاء الناس للتو.

وهذا ما فعله أجدادهم في سنة 1948، وانتقلوا إلى بيوت الناس (بعد تطهير سكانها عرقياً)، وكان الأمر مقبولًا تمامًا.

بالطبع، لقد انتقلوا إلى بيوت الناس، وسرقوا أثاثهم، هناك ذلك الكتاب الذي صدر قبل بضع سنوات، يتحدث عن حجم النهب الذي قاموا به من المنازل إلى النقطة التي أعتقد أن بن غوريون هو من قال فيها: "لا أستطيع تحمل الاعتقاد بأننا سنضطر إلى العيش في نفس البلد الذي يعيش فيه هؤلاء الناس".

لا أستطيع أن أتغاضى عن سلوك هؤلاء الأشخاص تجاه البشر الآخرين، لم أكن أعلم أن الإنسانية يمكن أن تذهب –

بالنسبة لي، لأنني أراجع الكثير من التقارير الطبية لأطفال يحاولون الخروج للعلاج، فإن عدد الأطفال الذين أطلق عليهم القناصة النار، إنهم أطفال أطلق عليهم القناصة النار، والشيء الذي يميز

القناص هو العلاقة الحميمة التي يمنحها لهم المنظار، التلسكوب، لقد عرف هذا الفرد.

عندما كنتُ في المستشفى الأهلي، قرب النهاية، كنا نشاهد الكثير من الأشخاص يتم إطلاق النار عليهم بواسطة هذه المروحيات الرباعية، هذه الطائرات بدون طيار المجهزة ببنادق قناصة، وأتذكر أنه في أحد الأيام، كان لدينا أكثر من 20 شخصًا، وأتذكر أنني كنت أفكر في ذلك الشاب البالغ من العمر 19 أو 20 عامًا أو 18 عامًا على الجانب الآخر من لعبة الفيديو تلك، والذي قرر إطلاق النار على صبي يبلغ من العمر تسع سنوات ووالدته، أعني أنه أمر لا يُصدق وتعجز فيه اللغة عن محاولة فهم كيف وصل إلى هذه النقطة.

وأظل أخبر نفسي أنه ليس من واجبنا أن نتكيف مع الأمر نفسيًا، بل أن نحاول إيقافه.

يجب علينا ذلك، ليس هناك تسوية، علينا أن نهزمه، هذه هي أيديولوجية الإبادة الجماعية، وعليك أن تهزمها، لقد عبر الإسرائيليون الآن إلى نقطة الخمير الحمر، ولا يمكنك بعد ذلك أن تجلس وتتساءل، أي جناح من أجنحة الخمير الحمر سنحاول استيعابه؟ ما نراه في المجتمع الإسرائيلي هم الأطباء وسائقو سيارات الأجرة والأكاديميون، وعندما تتحدث مع الأكاديميين الفلسطينيين الذين يعملون في الجامعات الإسرائيلية وتسمع ما يتعرضون له، وأنا أتحدث عن الأشخاص الذين يعملون في أقسام حقوق الإنسان والأقسام القانونية، عما يقولونه عن زملائهم الإسرائيليين، إن الأمر متروك للإسرائيليين ليقرروا شق طريقهم للعودة إلى الإنسانية، لكن ما يتعين على بقية العالم أن يفعله هو هزيمتهم.

لقطة من المؤتمر الصحفي بعد الهجوم على المستشفى الأهلي العربي مع د. غسان أبو ستة ومسؤولون من وزارة الصحة بغزة.

لقد كنتَ تذهب إلى غزة منذ فترة طويلة، وقد تحدثت الدكتورة آنج سوي تشاي عن السفر معك

إلى غزة في كتابها "من بيروت إلى القدس"، وأوضحت أن دور الجراحين الزائرين في غزة لم يكن إجراء العمليات بقدر ما كان توفير المزيد من التدريب والإمدادات، فالأطباء الفلسطينيون على الأرض قادرون. إنهم يُقتلون، لكن ليس هناك نقص في المهارة، إذًا ما هو دورك كطبيب هناك في نظرك؟

هذه المرة، كان العدد الهائل للجرحى يعني أن... عدد الأسرة في غزة قبل الحرب كان 2500 سرير، وبحلول نهاية الأسبوع الأول، كان لدينا بالفعل أكثر من 2500 جريح. ولذلك عندما اتخذت قرارًا بالذهاب في السابع من تشرين الأول/أكتوبر، اتخذت هذا القرار لأنني كنت أعرف أن عدد الجرحى لا يتجاوز فقط مجموعة المهارات، بل العدد الهائل من الأشخاص الموجودين على الأرض القادرين على القيام بهذا العمل.

هناك شعور لدى الأطباء هنا بالرغبة في الذهاب إلى غزة للمساعدة، ثم يترددون، لأنه إذا لم تصل المساعدات، وإذا لم تصل الإمدادات الطبية، فماذا يمكننا أن نفعل؟

لا شئ. أعني أن هذه هي المشكلة: أين تذهب؟ لم يبق في قطاع غزة سوى المستشفى الأوروبي لاستيعاب الفرق الزائرة، وما فعله الإسرائيليون بتدمير النظام هو أن هناك في الواقع فائضًا نسبيًا في الطاقم الطبي لأن غزة بأكملها تعمل الآن في تسع غرف عمليات في المستشفى الأوروبي، ويمنع الإسرائيليون المستشفيات الميدانية الجديدة من الوصول لسعة أكبر.

أنا فقط لا...لا أفهم كيف-

لا، إنها إبادة جماعية. إنها إبادة جماعية. كما ترى، المشكلة هي أننا كنا نتحدث أكاديميًا عن الإبادة الجماعية كما لو كانت مجازية أو بناء أيديولوجي، لكن ما يحدث في غزة هو المعنى الحرفي لكلمة إبادة جماعية، إنها إبادة جماعية حسابيًا، إنه مكان يسكنه مليونان وربع مليون شخص وقد قُتل على الأرجح ما بين 40,000 إلى 50,000 شخص بسبب عدد الأشخاص تحت الأنقاض، وعدد الأشخاص الذين قتلوا ولم يتم الإبلاغ عنهم، وعدد الأشخاص الذين يموتون بصمت من الأوبئة والمجاعة، أنت تنظر إلى 40.000 إلى 50.000 من مليونين وربع مليون، حسابيًا، هذه نسبة إبادة جماعية، 13000 طفل هو رقم إبادة جماعية حسابياً، إذًا هناك لوجستيات الإبادة الجماعية التي تتكشف، وهذا جزء من لوجستيات الإبادة الجماعية.

إنه أمر سافر جدًا، وهذا هو الجزء المربك.

إنه الإفلات من العقاب، إنه عندما تكون في حالة ثمالة بعد 75 عامًا من الإفلات من العقاب، تبدأ الحرب بالاعتراف. قبل أن تبدأ الحرب، عليك أن تعترف للعالم أجمع بما تخطط للقيام به، تستمر في الاعتراف شفهيًا بما تخطط للقيام به، وفي تلك الأماكن التي لا تجد فيها كاميرا، تقوم بتسجيل نفسك بالفيديو وأنت ترتكب جرائم، لأنك معزول تمامًا نتيجة لهذه السنوات الـ 75 من الإفلات من العقاب، أنت منفصل تمامًا عن عالم تكون فيه للأفعال عواقب.

وبالنسبة للإسرائيليين، لم تكن لأفعالهم أي عواقب على الإطلاق، لأن الغرب بنى هذه البنية التحتية لضمان الإفلات من العقاب، والتي تمتد من مجالس تحرير المجلات الطبية إلى هيئة الإذاعة

البريطانية (بي بي سي)، إلى شبكة سي إن إن، إلى الكلية الملكية للأطباء والجراحين، هناك بنية تحتية كاملة للإفلات من العقاب تتجاوز القيادة السياسية، والتي ضمنت حصانة "إسرائيل" من العقاب وساعدت الإسرائيليين على الوصول إلى تلك الحالة الانفصامية، حيث لا يستطيعون الرؤية أو لا يحتاجون إلى الرؤية، أو لا يستطيعون الرؤية.. من يهتم؟؟ لكنهم لا يرون أن ما يفعلونه له أي تأثير على بقية العالم، لأنه لم يكن له أي تأثير على بقية العالم، لأن غزو لبنان برمته، الذي قُتل فيه 35 ألف شخص، تم تصويره من قبل الأكاديميين الغربيين ووسائل الإعلام الغربية على أنه مرتبط بمحاولة اغتيال زائفة للسفير الإسرائيلي في لندن والحاجة إلى تدمير منظمة التحرير الفلسطينية، إن كل عمل من أعمال الإبادة الجماعية الإسرائيلية تم تبييضه دائما من قبل الغرب، وهكذا نصل إلى نقطة في 2023 و2024 حيث لا توجد عواقب لهذه الأفعال، لماذا يعتقد الإسرائيليون أنه ستكون هناك عواقب على الأفعال التي يرتكبونها منذ 75 عاماً؟

دائمًا ما يتم وضع النجمة على الإدانات وكأنها تقول: "هذا لا يمثل ما يريده غالبية السكان الإسرائيليين"، وبعض الإسرائيليين سوف يفعلون هذا أو ذاك، أو المستوطنون يفعلون كذا وكذا، هذا هو الإطار دائمًا، لإضفاء طابع استثنائي على ما نراه، لا يُسمح لك أبدًا باستخلاص استنتاجات أو أنماط أوسع من السلوك.

لا، بغض النظر عن عددهم ومناصبهم، كانت هناك طبيبة أطفال إسرائيلية تسخر من زملائها العرب، فهي تستيقظ كل صباح وتفتح قناة الجزيرة لترى الأطفال الفلسطينيين يُقتلون قبل أن تتمكن من الذهاب إلى العمل.

إنه أمر مزعج، لكن هناك تلك المتعة السادية السائدة.

نعم نعم، بالطبع بالطبع.

لكننا نحاول التركيز على الإنسانية التي نراها على الجانب الآخر، وخاصة من سكان غزة. أسمع أشياء مثل: "الناس في غزة يدافعون عن إنسانيتهم"، لا، إنهم يدافعون عن إنسانية العالم كله.

ماذا علّمتك غزة عن إمكانيات الطب؟

دخلت الطب عن اقتناع تقريبًا: مثّل غزو لبنان لحظة تكوينية للغاية في حياتي عندما كنت مراهقًا. وبما أن والدي كان طبيبًا، كنت أرغب في الالتحاق بدورة "السياسة والفلسفة والاقتصاد" في المملكة المتحدة وليس ممارسة الطب. وقد أدركتُ أن الطب يمنحك موقعًا داخل حياة الناس لأنهم يسمحون لك أن تكون في حياتهم وذلك بطريقة لا تفعلها أي مهنة أخرى، وتأثيرًا على حياتهم بمستويات متفاوتة بطريقة لا تفعلها أي مهنة أخرى. وإذا زودتَ نفسك بالمهارات والمنظور التحليلي لتتمكن من رؤية ما أمامك بشكل أفضل في العيادة، ستصبح الحياة أكثر ثراءً لأنه من العالم المصغر يمكنك بعد ذلك استخلاص فكرة عن العالم الكبير والصورة الأشمل. وإذا تأكدت من أن لديك المهارات التحليلية، وإذا نظرت إلى طبّك كعلم اجتماعي وليس كمسعى علمي بحت، فإن هذا سيسمح لك برؤية كل مريض على أنه قطعة من الأحجية الأكبر.

ومن ثم تسمح لك مهنة الطب بأن تكون شاهدًا على معاناة الناس خلف تلك الأبواب، الناس الذين سُلبت أصواتهم منهم، وأن تستجيب بطريقة لا يتوقعها النظام. ولأنك سليل الاحترام في الحياة المهنية الغربية، بما أنك طبيب، عندما تبدأ بالاستجابة من المرجح أن يتم سماعك. وتكمن المُفارقة الكاملة في أنه عليك الاستمرار في تأكيد هويتك كطبيب بريطاني فلسطيني، لأنه لا سمح الله، إذا كنت مجرد طبيب فلسطيني، فإن شهادتك لن تحمل نفس الوزن ولن تكون بنفس القيمة لو كنت أشقرًا وأزرق العينين وطبيبًا بريطانيًا بالكامل. كما تعلم، الأمر كله يتعلق بمحاولة العثور على التصدعات في هذا الجدار الذي أنشأوه لحماية المشروع الصهيوني حتى يتمكن صوتك من الوصول وحتى تكون شاهدًا على الضحايا الذين عالجتهم، لأنك مدين لهم. أنت مدين لمرضاك بضمان سرد قصصهم.

فيما يتعلق بتأطير الطبيب على أنه بريطاني أو أنه يجب أن تكون له هوية متداخلة للحصول على المصداقية: تقريبًا كل مقال رأيته منشورًا في إحدى وسائل الإعلام الرئيسية هنا حول الطب في غزة يحتوي على عنوان من قبيل... نشرت "لوس أنجلوس تايمز" للتو مقالة عن غزة انتشرت كالنار في الهشيم ويبدأ العنوان بعبارة "أنا طبيب أمريكي".

نعم لقد رأيت ذلك، "أنا طبيب أمريكي. "أنا لست هستيريًا مثل هؤلاء الأشخاص ذوي البشرة السمراء، ولذلك سأخبرك بالحقيقة". لكنك في حاجة ماسة إلى إظهار الحقيقة لدرجة أنك لم تعد تمانع في ذلك بعد الآن. لقد لاحظتُ أنني لم أتوقف تقريبًا عن تسجيل سياساتها، لكنني لا أهتم. أريد فقط أن تخرج القصة. إنهم لا ينظرون إلينا كأشخاص. وهذا واضح للغاية. كما قلتُ، لا يُنظر إليك كشخص إلا إذا كنت على استعداد للنأي بنفسك عن شعبك. نحن ضحايا ما حدث منذ نهاية الستينات وحتى الآن. لم يعد بإمكاننا الحديث عن التحرر الوطني للجنوب على قدم المساواة مع الشمال. لم يعد بإمكاننا الحديث عن التضامن، بل عن المحبة، ولم يعد بإمكاننا الحديث عن الثبات، بل عن الصمود، ولم يعد بإمكاننا التحدث عن مجموعة من الأشياء الأخرى، فقد سُرقت منا لغة التحرير الوطني.

بقع دماء على سيارة إسعاف تابعة للهلال الأحمر الفلسطيني، بعد غارة جوية إسرائيلية عند مدخل مستشفى الشفاء في مدينة غزة، في الثالث من تشرين الثاني/ نوفمبر 2023.

عندما وصلتَ إلى غزة في تشرين الأول/ أكتوبر، ماذا كنت تتوقع؟

كنت أعتقد أنها ستكون نسخة أسوأ من حرب 2014، ولكنها ليست نسخة أسوأ من أي شيء. هذه حرب مختلفة هذه حرب إبادة جماعية. والفرق بينها وبين الحروب الأخرى هو الفرق بين التسونامي والفيضانات، وكلاهما من الماء، ولكن هنا ينتهي التشابه.

أتخيل أنك تشعر أنك قد تغيرت بما رأيته.

طبعا، لقد تغيرتُ كما تغير الجميع. أعني أنني تغيرتُ بسبب تجربتي، لكن لا أعتقد أن هناك أي شخص آخر لم يتغير. لا أعتقد أن هناك شخصًا واحدًا غير أبيض يعيش في الغرب يراقب ما يحدث، ولم يتغير. عندما تستمع إلى حديث لولا، تدرك أن هذه الحرب غيرت علاقة الجنوب مع الشمال.

أين نذهب من هنا؟ كيف تشعر وكأنه قد أعيد توجيهك أو أن إحساسك بدورك قد تغير؟

بالنسبة لي، أريد أن أقضي بقية حياتي العملية في محاولة خدمة أولئك الذين لم أتمكن من خدمتهم. أعني، بالنسبة لي، ستكون حياتي مرتبطة بشكل أكبر بمصير غزة. وأعتقد أن واجبنا، وعهدنا مع أولئك الذين قُتلوا، هو إعادة بناء غزة. على الرغم من أن هناك الكثير من الألم، فقد كشفت هذه الحرب أن "إسرائيل" ليست سوى آلة قتل – إنها ليست حتى آلة قتال، إنها مجرد آلة قتل. غير قتل كل هؤلاء الناس، ماذا حققوا؟ إنهم غير قادرين على التمسك بالأرض. إن "إسرائيل" غير قادرة

على إعادة احتلال قطاع غزة. إنها قادرة على دخول قطاع غزة، لكنها غير قادرة على إعادة احتلال القطاع. وفكرة أن الفلسطينيين تركوا أرضهم سنة 1948 هي أن الفلسطينيين بقوا في غزة على الرغم من حرب الإبادة الجماعية. وعلى الرغم من حرب الإبادة الجماعية، هناك 700 ألف شخص في الشمال. وعلى الرغم من حرب الإبادة الجماعية، لا يزال الناس في غزة. وأتحدى أي دولة أخرى على وجه الأرض أن تمر بربع ما مر به الفلسطينيون ولا ينتهي بهم الأمر إلى المغادرة.

من أجل شن حرب الإبادة الجماعية هذه، كان على الإسرائيليين ذبح الكثير من أبقارهم المقدسة، وكان لا بد من التخلص من الكثير من أساطيرهم التأسيسية. والدول لا تنجو من ذبح الأساطير المؤسسية. لقد ثبت بوضوح أن الأسطورة التأسيسية القائلة إن الدولة ستفعل كل شيء لإنقاذ حياة الإسرائيليين غير صحيحة. لقد فُضحت الأسطورة القائلة إن التكنولوجيا تتناسب بشكل لا نهائي مع القوة. لقد تم تدمير "ميركافا" التي تبلغ قيمتها 5 ملايين دولار بواسطة إصدارات محلية الصنع من لعبة "آر بي جي" بقيمة 500 دولار.

لقد قرر الإسرائيليون – وانسوا أمر عائلات الرهائن – أن المجتمع الإسرائيلي يريد شن حرب الإبادة الجماعية هذه أكثر من رغبته في إنقاذ حياة هؤلاء الرهائن. لقد وصلنا إلى النقطة التي يتم فيها قتل جميع الرهائن على يد الإسرائيليين.

لا توجد صورة للنصر. لا أعتقد أن هذا ممكن. بغض النظر عن المدة التي سيستمر فيها هذا، كل ما هو ممكن هو القتل المستمر.

عندما تسمع بما يفعلونه بالدكتور محمد أبو سلمية، المدير الطبي لمستشفى الشفاء الذي اعتقلوه، لمحاولة جعله يظهر على التلفاز ويقول إن هناك أنفاقا تحت مستشفى الشفاء. لقد كسروا ذراعيه. لقد جعلوه يمشي على أطرافه الأربعة وسلسلة حول رقبته، وجعلوه يأكل من طبق على الأرض أمام الأطباء الآخرين، لأنه رفض الظهور على شاشة التلفزيون والقول إن الإسرائيليين على حق. كان الإسرائيليون يأملون التقاط صورة انتصار أمام مستشفى الشفاء، لكن لم يحصلوا عليها. لم يحصلوا على صورة النصر.

إنها بصريات إلى حد كبير في هذه المرحلة. لكن هناك هوس محدد بالطب: اعتقال الأطباء، وتدنيس الأطباء، وانتحال صفة الأطباء – وهو أمر جديد على ما أعتقد. لذا يجب عليهم أن يدركوا أيضًا ما يعنيه الطبيب بالنسبة للفلسطينيين.

يتعلق الأمر كله بالسياسة الميتة المركزية للاستعمار الاستيطاني الإسرائيلي. وأحد الاحتمالات المتعلقة بمركزية الرعاية الطبية والرعاية الصحية داخل حركة التحرير الفلسطينية التي ناقشناها سابقًا، هو أنه حتى قبل أن نحصل على اسم السياسة الميتة الإسرائيلية، كانت سياسة الحياة غريزيًّا بالنسبة للفلسطينيين بمثابة الترياق لسياسات الموت الإسرائيلية. وهذا جزء من سياسة الموت التي تحاول محاربة سياسة الحياة.

هذه هي النسخة الأكثر استخلاصا لما نراه.

لقد سمعت أنكم تطلقون مشروعًا لمساعدة الأطفال للحصول على الجراحة الترميمية في لبنان. كنت أتساءل عما إذا كان بإمكانك التحدث عما يتضمنه هذا المشروع.

فيما يتعلق بالجراحة الترميمية، تمثل إصابات الحرب مجموعة مختلفة تمامًا من الصدمات. ولذا فأنت بحاجة إلى مستوى من الخبرة والتجربة، وهو للأسف غير موجود إلا في لبنان، نتيجة الحرب الأهلية ثم حرب 2006، ومن ثم أصبح لبنان مركزا للعراقيين المرضى ثم المرضى السوريين. وهناك مستوى من الخبرة داخل النظام الصحي وحتى القطاع الخاص في التعامل مع إصابات الحرب غير موجود في أي مكان آخر. وربما في الأردن، لأن معظم الأطباء يأتون من خلال الجيش، ولكن هذا كل ما في الأمر.

الفكرة هي أن هؤلاء الأطفال سيحتاجون إلى حوالي 8 إلى 12 عملية جراحية خلال طفولتهم، وهذه إصابات معقدة ومساراتها العلاجية معقدة وستتطلب رعاية متكاملة متعددة التخصصات تتضمن الدعم النفسي والاجتماعي مع إعادة التأهيل من خلال الجراحة. ومن خلال جلب الخبرة التي اكتسبتها كأكاديمي مهتم – عندما كنت في الجامعة الأميركية في بيروت، كنت أدير البرنامج الوحيد المخصص لإصابات الحرب لدى الأطفال، مع منظمة "إنارة" (مخصصة لتوفير الجراحة الترميمية للأطفال السوريين الجرحى خلال الحرب). وهذه التجربة والخبرة توفر هذا النوع من الرعاية الشاملة طوال المسار بأكمله. لذا، لا يتمحور الأمر حول الجراحة الترميمية فحسب، وإنما أيضًا الإحاطة النفسية والاجتماعية، ولا تنتهي العملية عند التئام الجروح فحسب، بل أبعد من ذلك عند إعادة التأهيل، ومن ثم العمل مع هؤلاء الأطفال على إعادة الاندماج مرة أخرى في غزة. لذلك نحاول جلب تلك الخبرة لتزويد هؤلاء الأطفال الذين يعانون من إصابات معقدة بالعلاج الذي يحتاجونه.

يبدو أن البنية التحتية موجودة في الغالب وظلت مسألة توطين مجموعة سكانية مختلفة.

ووجود أشخاص يشاركون تلك التجربة والخبرة وتلك النظرة للتعقيد والاحتياجات.

ملاحظة أردت أن أنهيها – ليس مجرد أمل، ولكني أشعر أن هذه اللحظة قد أوضحت الكثير من الأمور للكثير من الناس.

لحظة وضوح وليست لحظة أمل.

نعم. كنت أتساءل ما هو المطلوب منا داخل مهنة الطب وخارجها لمواجهة هذه اللحظة، مثل ما يجب أن يفعله الناس.

أعتقد أن ما يتعين علينا القيام به هو هزيمة مشروع الإبادة الجماعية. وبما أن مشروع الإبادة الجماعية هو جزء لا يتجزأ من الحرب، فإن الإسرائيليين سيحاولون ترسيخه كجزء لا يتجزأ من وقف إطلاق النار. يحاول الإسرائيليون دائما أن يحققوا في وقف إطلاق النار ما لم يحققوه في الحرب. لذلك سيحاول الإسرائيليون إطالة أمد الحصار. سيُحاولون زيادة عدد الأشخاص الذين يقتَلون نتيجة الأوبئة، ونتيجة لجراحهم. وهكذا سيستمر مشروع الإبادة الجماعية. لذلك يجب أن يتمحور نضالنا

حول هزيمة مشروع الإبادة الجماعية الإسرائيلي.

على جميع الجبهات

طبعا. إن الأمر مهم. لأننا نشاهد شيئًا يتكشف لم يسبق له مثيل. نرى مكونات مشروع الإبادة الجماعية. لا يقتصر مشروع الإبادة الجماعية على التصفية الجسدية للأفراد فحسب، بل هناك أيضًا إبادة اجتماعية، من خلال تدمير الجامعات والمدارس والمقابر والمباني التاريخية في غزة والأجزاء التاريخية. ومن ثم فإن الإبادة الجماعية هي التصفية الجسدية، وهما يسيران جنبًا إلى جنب. وإعادة بناء كل ذلك، وهزيمة هذا المشروع – بالنسبة للأشخاص الذين هم خارج نطاق الطب، فإن إعادة بناء المدارس، وإعادة بناء الجامعات، وإعادة بناء المقابر، وإعادة بناء المواقع التاريخية التي تم تدميرها، هو عنصر بالغ الأهمية في هزيمة الإبادة الجماعية، التي لا نعرف متى تنتهي – ذلك أن الإبادة الجماعية لا تنتهي عندما تنتهي الحرب.

إن الأمر المتعلق بالإبادة الجماعية والاستعمار الاستيطاني، كما رأينا مع الكنديين والأستراليين، هو أنه بمجرد أن تعبر المجتمعات الاستيطانية إلى الإبادة الجماعية كشكل من أشكال القضاء، فإنها لا تستطيع التراجع أبدًا. لذلك رأينا كيف استمر الكنديون في قتل الأطفال الأصليين في السبعينات ودفنهم في ساحات المدارس. ورأينا كيف كان الأستراليون في الثمانينات يحاولون تسميم آبار مجتمعات السكان الأصليين. لذا فإن الأمر هنا هو أن الإبادة الجماعية ليس لها آثار على الضفة الغربية والفلسطينيين خلال سنة 1948، ولبنان، وسوريا، والأردن، ومصر. إن المجتمعات الاستيطانية، بمجرد عبورها هذا العائق إلى الإبادة الجماعية، فإنها لا تعبر ذلك أبدًا. إنهم لا يعودون أبدًا إلى أشكال الإزالة الأخرى.

إنها وجودية بهذه الطريقة. والإسرائيليون ليسوا مخطئين في إدراك ذلك على أنه أمر وجودي. الأمر فقط أن جانبهم هو جانب الموت

بالسعي إلى ضمان وجودهم في غياب الآخرين.

نعم، أعتقد أننا بحاجة إلى المضي قدمًا بهذا الوعي، وأن هذا هو ما يفكر فيه الإسرائيليون الآن. إنهم يحومون حول نية الإبادة. ويجري تداول فكرة الدولتين هذه.

نعم بكل تأكيد. لكنه تم تداول هذه الفكرة لتبرير قتل العراقيين في مؤتمر مدريد، وسيتحجج بها الأمريكيون كلما وقعوا في مشكلة. وهذا هو الخطأ التاريخي الذي ارتكبه الفلسطينيون. كما ترون، كان حزب المؤتمر الوطني الأفريقي مستعدًا للتفاوض على كل شيء بخلاف تفكيك أيديولوجية الفصل العنصري. فشل الفلسطينيون في إضفاء الطابع المركزي على تدمير الصهيونية كأيديولوجية، والتي بدونها لا توجد إمكانية للتفاوض أو التعايش – ونحن الآن ندفع الثمن. إنه فشل في قبول طبيعة الأيديولوجية الاستعمارية الاستيطانية.

سؤال أخير، أين أنتم من زرع الأمل؟

في غزة قطعًا.

الموقع: موندويس

رابط المقال : https://www.noonpost.com/202375/